

## «خلي بالك من زوزو».. فيلم يستفز النخبة ويلهب العامة

عمل تنفست من خلاله السينما المصرية وخرجت عن الوصاية الناصرية



## رومانسية في زمن الهزيمة

حملها الكثير إلى الزعيم الراحل جمال عبدالناصر وشعاراته البراقة التي لم تنتج إلا المرارة، في نظرهم.. فحان موعد العودة إلى الفرح المشتبه في نظر عشاق الرومانسية.

أما من الناحية الفنية فقد كان متقنا من حيث كل مكوناته وعناصره التقنية، مستقيدا في ذلك من إرث سينمائي كان لا يزال العديد من صناعه في مصر رغم ما لحق بهم من طرد وإقصاء وتهميش في ظل المتغيرات السياسية التي أعقبت انقلاب الضباط الأحرار في يونيو 1952.

وبرز ذلك واضحا في أسلوب التصوير واللوحات الاستعراضية التي قادها كمال نعيم والف خلفياتها الموسيقية كمال الطويل، بالإضافة إلى المغني الشعبي شفيق جلال.

سعاد حسني كانت سر إنجاز العمل دون الاستهانة ببقية العناصر الأخرى، وعلى الرغم من أن النجمة، آنذاك، لبني عبدالعزیز، كانت قد قالت إنها هي المرشحة الأولى للفيلم لداء دور زوزو، وتعاقدت مبدئيا مع المخرج حسن الإمام ولكن، وحسب روايتها، تقول إنها ارتبطت بالسفر مع زوجها للولايات المتحدة عام 1972 فاعتذرت عن الفيلم، إلا أن سندريلا الشائسة العربية هي التي ارتبط اسمها بذلك النجاح الكاسح دون منازع.

ويذكر أن الفيلم قد ساهم في إبراز أسماء لعت في سماء الكوميديا في ما بعد على شاكلة سمير غانم، ووحيد سيف، ومحمد متولي وغيرهم، وكذلك الأيد المتميز لعلي جوهر ومنى قطان، كما أنه لفت الانتباه إلى أهمية الاستعراض الغنائي أو ما يعرف بـ«الموزكال» كجنس فني انقطع بتعثر وتوقف أفلام ما قبل ثورة يونيو التي أقصت وهشت رواده ممن كانوا يعرفون بـ«خواتم السينما المصرية».

العرض الأول للفيلم كان في 6 نوفمبر عام 1972، وحقق رقما قياسيا في مدة العرض عندما استمر عرضه لأكثر من 54 أسبوعا، فكسر بذلك الرقم الخاص بفيلم «أبي فوق الشجرة» عام 1969 والذي كان 52 أسبوعا.

العمل إلى «خلي بالك من زوزو» تماشيا مع أغنيته الشهيرة.

وتعرض جاهين، لهجوم حاد من بعض الصحافيين الذين استغربوا واستهجنوا منه هذا «الانحراف» وهو الذي قدم الكثير من الأغاني «الوطنية الملتزمة» فكيف يؤول به الأمر إلى هذا «الإسفاف» في حد زعمهم؟ الأمر في غاية الدقة والحساسية، خصوصا إذا علمنا بأن الرجل قد مر بحالة من الغضب ومن ثم الاكتئاب إثر هزيمة يونيو 1967 وما خلفته من انتكاسات

بفضل توابل استعراضية وموسيقية كانت تزعمها سعاد حسني ومن خلفها الملحن الكبير كمال الطويل، الذي لحن غالبية اغاني الفيلم.

فيلم «خلي بالك من زوزو» لا يخلو من طرائف وحكايات جانبية تعلق بظروف تصويره وإنتاجه وعرضه مثل أي عمل أسأل الكثير من الحبر وحتى الأقوال والإشاعات، ذلك أنه ملا الدنيا وشغل الناس لفترة طويلة من الزمن، واحتلت مصفاته الصدارة في كل قاعة عرض تحفتي به داخل مصر وخارجها.

## آثار هزيمة 1967

بلغت شهرة الفيلم درجة تختلط فيها الحقيقة بالخيال، وتروى عنه الإشاعات والأكاذيب والقصص المغرضة والملفة والمسيئة للعرب أحيانا، إلى درجة أن بعض الجهات الأمنية الغربية، وكما اشبهت في «عناصر عربية»، عمدت إلى عرض هذا الفيلم في إحدى أكبر صالات البلد لتجميع «المشتبه بهم» في مكان واحد، ومن ثم التحقيق معهم في الأوقات، مقارنة مع اليوم.

يقول المقربون من هذا العمل إن قصة الفيلم منسوبة في الأصل لحسن الإمام، وكان في البداية مقترحا لفيلم يحمل اسم «بنت العالمة»، لكن الشاعر صلاح جاهين، والذي أعاد كتابة السيناريو من جديد وأضاف له الحوار، غير اسم

تري، ما السر الذي جعل من حكاية مستهلكة، تكاد تكون على قارعة الطريق في أحياء مصر، تتحول إلى ما يشبه الأسطورة التي لا يمل الناس من مشاهدتها إلى حد الآن، منذ ما يقارب قرن؟ ما الذي جعلها تستوطن في المخيال الشعبي، وتمسي شاهدا على ما

اعتدنا تسميته بالزمن الجميل؟ إنسه، وبلا أدنى شك، السام من الشعرات الفضاضة، والحزين إلى أزمنة الرومانسية، خصوصا وأن بطلة الفيلم، واحدة اسمها سعاد حسني، تلك التي استحقت لقب «سندريلا الشاشة العربية» عن جدارة، بخفة دنها، وحضورها المبهج.. وكأنها تقول لكل الجماهير العربية: ما زال هناك وقت للحب في أوقات التجهم والعيوس.

من منا لا تحركه أغنية «يا واد يا

تقيل»، ولا يمتنى أن يكون بدل حسين فهمي، الوسيم الذي نجح في أداء دور «الولد الثقيل» أمام بنس الطيقة الفقيرة التي تعشق ابن «الدوات» في أكثر من فيلم مثل «أميرة حبي أنا»

لحسن الإمام، نفسه، و«الموتوحشة» للمخرج سمير سيف، لكن «خلي بالك من زوزو» يبقى الأيقونة السينمائية التي طبعت سبعينات القرن الماضي دون منازع.

ثمة خلطة سرية تشبه البهارات الهندية في هذا الفيلم العجيب، فعلى الرغم من بساطة حكايته وعفويتها التي تبلغ درجة الميلودراما الهندية، إلا أن صانعها جعل منها شريطا أسرا

جوبه فيلم «خلي بالك من زوزو» بلغت حد التخوين الوطني والعمالة للأجنبي صريح لسياسة الانفتاح التي انتهجها الرئيس الراحل أنور السادات

«خلي بالك من زوزو» فيلم سينمائي لا يزال يستفز النخب الثقافية ويحرجها في الدلالة على أن ما تعشقه الجماهير ليس بالضرورة ذلك الذي يطنب النقاد المتخصصون في تمجيد، واعتباره من «الروائع» التي عادة ما تشاهدها قلة، تتبادل السجال حولها دون أن يكتثر إليها أحد.

شريط، وعلى الرغم مما يعرف بالسينما البديلة والطليعية، يعد واحدا من أهم 100 فيلم سينمائي في تاريخ السينما المصرية والعربية، على الإطلاق، وذلك ضمن قائمة أجراها نقاد ومتخصصون عام 1996.

أنجز هذا العمل الذي ظل عالقا في ذاكرة الأجيال وكل من شاهده، المخرج الراحل حسن الإمام، سنة 1972 وكان من تأليف الشاعر والكاتب صلاح جاهين، و بطولة الفنانين سعاد حسني، حسين فهمي، تحية كاريوكا، سمير غانم، محيي إسماعيل، المغني الشعبي شفيق جلال، وآخرين.

مسرحي من أصول أرستقراطية (حسين فهمي) كانت الكلية قد استضافته في ندوة، وبالمصادفة الميلودرامية المعهودة في الأفلام المصرية.

تنشأ قصة حب غير متكافئة طبقيا بين الإثنين، ذلك أن ابنة زوجة أبيه، تحبه لنفسها وتصطنع المكائد والذرائع، كما يمكن أن يحدث في أي قصة تشبه أسطورة سندريلا أي جمال على العنان، مدين بأنه ينتمي إلى موجة «سينما المقاولات والانفتاح، بعد سنوات الالتزام والانضباط».

## موجة من الانتقادات

صراع القيم كان حاضرا في قصة فيلم «خلي بالك من زوزو» إذ تقرر زوزو، التخلي عن حبها مقابل حفظ ماء أسرتها وكرامتها، وتستسلم لأمر مفاده أن هذا هو قدرها، فتقرر العودة إلى الرقص في الكباريات، وكان ذلك قدرها المحتوم. يصل الخبر إلى زميلات زوزو في الجامعة فيقررن إنقاذ هذه الفرائسة الوديعه اللطيفة من براثن الانحدار نحو الهاوية، ويساعدهن في ذلك موقف الأم (تحية كاريوكا) التي لا تروم لابنتها نفس المصير في موقف «أخلاقوي» يتخذ من مبدأ اتباع الدراسة مصيرا ينتصر لما يجب أن يكون، ضمن في مثل هذا المازق الدرامي.

ومثل كل النهايات السعيدة، يساعد زملاء زوزو، زميلتهم في العودة إلى مقاعد الجامعة، وتعود إلى حبيبها سعيد في نهاية تليق بفراشة الجامعة، و«السندريلا» التي أدهشت الجميع في أكثر من لوحة استعراضية راقصة، كانت في الأصل نزيعة من المخرج حسن الإمام، وفريقه الفني، لإبراز قدرات الفنانة المدهشة سعاد حسني.

قصة الفيلم تبدو عادية ومتوقعة، لكن المعالجة الدرامية، والأداء التمثيلي، قد بلغا حد الإدهاش، ذلك أن الوصلات الغنائية والمشاهد التمثيلية، تخطف الألباب، وتروي تعطشا إلى أزمة الحب الرومانسي التي افتقدتها الجمهور المصري والعربي، عموما، طيلة سنوات الانتزام بـ«قضايا الأمة ومصايرها القومية» التي حاول الناصريون تكريسها دون وعي بالجماليات الفنية والاحتياجات الشعبية الرومانسية التي تطبع الذائقة المصرية منذ أفلام حلمي رفلة، وإنتاجات طلعت حرب.

جوبه فيلم «خلي بالك من زوزو» بموجة من الانتقادات بلغت حد التخوين الوطني والعمالة للأجنبي في انتقاد صريح لسياسة الانفتاح التي انتهجها الرئيس الراحل أنور السادات، لكن مخرج الفيلم حسن الإمام، نال جائزة «جمال عبدالناصر التذكارية» من الرئيس أنور السادات عام 1974 وتفوق شريطه من حيث الإيرادات على فيلم «أبي فوق الشجرة» الذي أنجز عام 1969.

وكان فيلم «أبي فوق الشجرة» الذي كان من بطولة عبدالحليم حافظ ونادية لطفي، وتأليف إحسان عبدالقدوس، قد سلم المشعل إلى «خلي بالك من زوزو» ومن سوف يأتي بعده من أعمال تعيد للرومانسية مجدها، وتعلن هزيمة أفلام الدعاية السياسية والتعبئة الثورية.

بات فيلم «خلي بالك من زوزو» في وقت من الأوقات، عنوانا عريضا للإسفاف الفني والسقوط الأيديولوجي لدى قسم كبير من حماسي اليسار العربي، إلى درجة أن شاعرا فلسطينيا يسكن دمشق (يوسف الخطيب) قد كتب يوما، متهمًا، قصيدة مطلعها من «خلي

السلاح صاحي إلى خلي بالك من زوزو» لكن هذه الموجة، سرعان ما خفت، وصار جميع الناس، يستمتعون -دون استثناء- بأغنية سعاد حسني «يا واد يا تقيل».

حاصل على عدد كبير من الجوائز الهامة، من بينها الجائزة التقديرية الذهبية من الجمعية المصرية للنقاد، تخلى في السبعينات عن قصص الماسي التي كان يُعرف بها، وقدم عددا من الأفلام ذات الطابع الغنائي والاستعراضي، من بينها «خلي بالك من زوزو» الذي استمر في دور العرض لما يقرب من عام، ليقول عنه النقاد بأنه «مخرج «العالم»

كرمه مصر عام 1976 كأحد رواد السينما، إلى جانب تكريمه في مهرجان نانث الفرنسي بعرض مجموعة كبيرة من أفلامه.



حكيم مرزوقي  
كاتب تونسي

بعد ما يقارب النصف قرن على ظهور هذه الرائعة السينمائية التي حفرت في وجدان الذائقة العربية، لا يمكن لنا أن نتساءل عن مكن سحر هذا الفيلم الذي طالما شد نقادا في السر، وأثار حفيظتهم على العلن، مدين بأنه ينتمي إلى موجة «سينما المقاولات والانفتاح، بعد سنوات الالتزام والانضباط».

كل ما في الأمر أن السينما المصرية قد تحررت من الوصاية السياسية السائدة في عهد الرئيس جمال عبدالناصر، وأرادت في فترة أنور السادات، أن تحلق في ما يحبه المزاج المصري العاشق لأجواء الحب و«الفرقة» كما هو الحال قبل ثورة يونيو 1952، فـ«ما أقصر العمر أن نضيعه في النضال» على حد زعم محمد عبدالوهاب، في الأغنية التي انتقده عليها الكثير من الثوريين.

قصة الفيلم لا علاقة لها بالشعارات الكبيرة والجمال المنتفخة التي كانت سائدة في فترة ما يُعرف بالمواجهة والمد الثوري. إنها حالة حب لا أكثر ولا أقل: زينب عبدالكريم (سعاد حسني) طالبة مثالفة، محبوبة وخفيفة الظل من كلية الآداب، لكن سرا اجتماعيا، تخفيه عن زميلاتها، وينخص عليها فرحتها في حالات الصفاء، وهو أن حياة مزوجة كانت تعيشها، وتشكل عقدة الفيلم الدرامية، تتمثل في كونها «زوزو» ابنة «الست نعيمة الماظية» (تحية كاريوكا)، واحدة من أشهر راقصات شارع محمد

علي، وتشارك والدتها الحفلات الخاصة والوصلات الاستعراضية في أجواء ماجنة لا تليق بطالبة جامعية. زوزو الرقيقة تتعرض للتنمر والتحرش من طرف زملائها الليل، ويصادف أن تتعرف على «سعيد»، مخرج

## حسن الإمام



ولد عام 1919 وتوفي عام 1988، معروف بتشفه بالمرح وجبه الكبير للموسيقى.

بدأ حياته الفنية كمترجم للنصوص والمونولوجات المسرحية التي كان يدرسها بالفرنسية للمؤلف موريس شوفالبييه.

اتخذ يوسف وهبي مساعدا ثم تعرف وعمل مع كل من المخرجين أحمد بدرخان ونيازي مصطفى وهنري بركات.

حصل على عدد كبير من الجوائز الهامة، من بينها الجائزة التقديرية الذهبية من الجمعية المصرية للنقاد، تخلى في السبعينات عن قصص الماسي التي كان يُعرف بها، وقدم عددا من الأفلام ذات الطابع الغنائي والاستعراضي، من بينها «خلي بالك من زوزو» الذي استمر في دور العرض لما يقرب من عام، ليقول عنه النقاد بأنه «مخرج «العالم»

كرمه مصر عام 1976 كأحد رواد السينما، إلى جانب تكريمه في مهرجان نانث الفرنسي بعرض مجموعة كبيرة من أفلامه.

